المحاضرة 07: تودوروف

إعداد الأستاذة: سعيدة حمداوي

الفئة المستهدفة: طلبة السنة الأولى ماستر، تخصص: نقد حديث ومعاصر

الأهداف:

أن يتعرف الطالب على جهود الناقد الفرنسي البلغاري تزيفتان تودوروف في تغيير الرؤية إلى الشعرية الغربية حين وسع مداها لتشمل النصوص النثرية.

الملخص:

توضح هذه المحاضرة ما جاء به الناقد الفرنسي البلغاري تزيفتان تودوروف من مقولات ومفاهيم وإجراءات استهدف من خلالها النصوص السردية.

اقترح تزفيتان تودوروف مصطلح السرد للإشارة إلى النظرية الجديدة للسرد الأدبي انطلاقا من مرجعه الأساسي وهو جيرار جينيت، ويشمل علم السرد الإبداعات الأدبية التي يتم فيها سرد شيء ما (مثل الملحمة أو الرواية أو القصة القصيرة)، إلى جانب الأشكال السردية التي تستخدم وسائل تعبير غير لغوية، مثل الفيلم أو التلفزيون، دون استبعاد أنواع السرد المختلفة. السرد "الواقعي" أو غير الخيالي، مثل التاريخ أو السيرة الذاتية أو الرواية الصحفية. وإذ يتحدث في كتابه "نظرية الأدب" عن نوعين من السرد وهما: القصة الموضوعية والقصة الذاتية، انطلاقا من المعلومات التي يملكها الراوي. ويشير إلى المنظور الذي تُرى منه الأحداث، ويميز بين ثلاثة نماذج، هي:

– الراوي < الشخصية: الراوي يعرف أكثر من شخصيته، ولا توجد أسرار له في العالم المروي .وهو الراوي العليم.

– الراوي = الشخصية: الراوي يعرف نفس شخصياته، فهو راوي متساوي .

– الراوي > الشخصية: الراوي لديه معلومات أقل من أي شخصية أخرى، وهو راوي فقير .

يشير وقت السرد حسب تودوروف إلى مدة الأحداث وترتيبها إلى زمن الواقع المروي (القصة) وهو زمن متعدد الأبعاد، بينما زمن السرد (الكلام) هو زمن خطي، لهذا يسمي تودوروف" التشوه الزمني" التنظيم المتتابع في الخطاب الذي تتطلبه أشياء تحدث في القصة بشكل متزامن. ففي دراسته للأزمنة السردية يؤكد عدم التشابه وبالنظر إلى موقفه نجده يتأثر بالشكلانيين الروس في تقسيمهم للنص من حيث هو متن حكائي ومبنى حكائي، ويستخدم القصة والخطاب للتعبير عن كلية النص. فهو قصة وخطاب في الوقت نفسه؛ بمعنى أنه يثير في الذهن بين زمانية القصة وزمانية الخطاب، فزمن الخطاب هو بمعنى من المعاني زمن خطي في حين أن زمن القصة هو زمن متعدد الأبعاد. ففي القصة يمكن لأحداث كثيرة أن تجري في آن واحد، لكن الخطاب ملزم بأن يرتبها ترتيبا متتاليا يأتي الواحد فيها بعد الآخر، كأن الأمر يتعلق بإسقاط شكل هندسي معقد على خط مستقيم. من هنا تأتي ضرورة إيقاف التتالي الطبيعي للأحداث حتى وإن أراد المؤلف اتباعه عن قرب لذلك يلجأ السارد إلى التحريف الزمني للتحايل على خطية زمن الخطاب، فبرزت أشكال سردية متعددة كالتضمين والتناوب.

أما ما تعلق بالشخصية فيضع تودوروف في "قاموس موسوعة علوم اللغة" تصنيفا للشخصيات الجوهرية والرسمية حيث يتم تفسير التصنيفات الجوهرية من خلال وظيفة الممثل داخل القصة، وتعتمد التصنيفات الشكلية على ملاحظة خصائص شكلية معينة، على مستوى الخطاب. يميز تودوروف أربع مجموعات من الشخصيات الرسمية، هي:

– ديناميكية/ثابتة، اعتمادًا على ما إذا كانت تتغير أم لا،

– الأبطال/الشخصيات الثانوية حسب أهمية دورهم في القصة،

– مستديرة / مسطحة، حسب تعقيدها – يأتي هذا التمييز من إي إم فورستر(1927)

– يهيمن عليها الفضول – كما في رواية المغامرة والرواية النفسية.

في تعليق تودوروف على ما قالته برنار عن الشعرية يرى أنها ليست متصورة هنا إلا في التضاد مع النثر .. وإذا اعتمدنا رأي بودلير نفسه، فيمكن القول بأن الشعرية فئة مضمونية بحتة يضاف إليها شرط الإيجاز. وقد استشف تودوروف هذا التغاير أو التعارض – على حد قوله – بتوفر الرواية على خصوصية التناص، وأن "التناص" القوي الحاد مظهر من أبرز مظاهر الرواية، أما الشعر فهو لا يتوفر على هذه الخاصية. وهذا يثبت بعض السمات والخطوط المشتركة في العلاقة بالشعرية الغربية؛ ففي كتابه المتأثر بالبنيوية بعنوان: شعرية النثر poetique de la prose والتي درس فيها الأوديسة وألف ليلة وليلة، الكأس والديكاميرون، وهنري جيمس وجوزيف كونراد، ودوستويفسكي والرواية البوليسية انطلاقا من تحليل دقيق لأشكال القصة ووظائفها، ويرى فيه أن معظم النصوص تكون منظومة وفق مبدأ التسلسل الزمني أو المنطقي (سبب ونتيجة)، ونادرا ما تكون منظومة وفق مبدأ التسلسل المكاني .spatial sequence لذلك فإن المذكرات، والتواريخ والمفكرات يطغى عليها التسلسل الزمني، وتكون صلات السبب والنتيجة طاغية في كلام المحامين أو العلماء. مع ذلك تكون بعض الأعمال منظومة في تسلسل زمني، في حين يكون المستويان الآخران مطموسين. هذه صفة نمطية للشعر، وتكون ظاهرة بالشكل الأروع فيما يدعى الشعر الملموس .concrete يعتقد تودوروف أن تحليل ياكوبسون للشعر يشير في الأدب، على مستويات مختلفة، إلى أن كل وحدات اللغة تندمج في منظومة معقدة من التناظرات والتدرج والتقابلات والتوازيات، تقريبا كما لو أنها تصنع بنية مكانية فضائية. وعلى هذا، فإن

تودوروف من أوائل النقاد الغربيين الذين احتضنوا الشعرية النثرية بعد أن قام بنقد جون كوهن لتبنيه الفكرة القائلة: "إن الشعرية لا تقتصر إلا على الشعر، أما النثر، فلا مجال لدراسته في حقل الشعرية".

المراجع:

تزيفتان طودوروف، الشعرية، تر/ شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة، ط2، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1990.

سيفيتان تودوروف، مفهوم الأدب ودراسات أخرى، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2002.

عثماني الميلود، شعرية تودوروف، ط1، عيون المقالات، الدار البيضاء، 1990.